الإهداء

إلى شهداء وشهيدات (الجبهة الشرقية).. إلى من وضعوا أحلامهم وآمالهم على عاتق التجمع الوطني الديمقراطي، حملوا الشمس على أكتافهم..وحلموا بوطن حر ديمقراطي.

إلى شهيدة التجمع النسوي (أم جمعة بنيامين وول).. بنت الجنوب التي روت دماؤها الجبهة الشرقية وكانت رمزاً من رموز الوحدة الوطنية والسودان الجديد.

إلى كل من وقف بجانب التجمع النسوي من قيادات الفصائل وكوادرها، ومن قال كلمة حق في وجه الباطل.. ومن دعم مسيرته خلال رحلة الصمود والتحدي.

إلى صديقة عمري ورفيقة دربي الراحلة المقيمة .. شقيقتي (وداد صديق محمد الأمين) التي خطت معي الفصل الأول من هذا الكتاب بتوثيقاتها ووثائقها، بملاحظاتها وإضافاتها ورحلت قبل أن يرى النور.

إلى المرأة السودانية على امتداد الوطن العزيز.

obeikandl.com

obeikandl.com

■ توطئة

إن ما قمنا به عبر صفحات هذا الكتاب، لا يستهدف نضالا ندعيه أو بطولة ننشدها، ولكن إحساس بالمسؤولية تجاه تجربة شاء القدر أن نكون شهوداً عليها. كذلك شهودها وأبطالها نساء كن في فوهة البندقية، ناضلن نضالاً مزدوجاً بين مطرقة نظام ظالم وسندان معارضة تقليدية، وقد حاولنا توثيق التجربة بما في حوزتنا من وثائق ومستندات، تحكي تفاصيلها على مدى عقد من الزمن. قد يتفق معنا البعض في تقييمها. وقد يختلف البعض الآخر في ذلك، ولكن تبقى التجربة بإنجازاتها وإخفاقاتها ملكاً للتاريخ، ويبقى ما سردناه هجعة على واحة الصدق، استرجعنا فيها التفاصيل ونقلناها بحياد وموضوعية يقتضيها التوثيق الأمين. والذي استندنا فيه إلى المعايشة الشخصية، وما توفر لدينا من وقائع ومستندات وشهادات حية لآخرين كانوا جزءا من التجربة. بالإضافة لبعض الكتب والصحف التي تناولت قضية المرأة بالتجمع الوطني.

إننا إذ نكرر القول والشهادة، ذلك أنه على مدى سنوات هذه المسيرة الشاقة، التي احترمنا فيها المؤسسة التنظيمية باعتبارها خيار الشعب السوداني، والمؤسسية بغية استرداد حقه في الحرية والديمقراطية والسلام، والتزمنا ضبط النفس تجاه كل الممارسات المضادة، واتبعنا نهج الحوار عبر أروقة التجمع الوطني، وعلى رأسه المكتب التنفيذي، عضينا بالنواجذ على مكتسباتنا، وتحملنا تبعات الصمود المرير.. تجنبنا الاحتكاكات الشخصية والانفعالات الخاصة بالنفس الأمارة بالسوء.. احترمنا صغيرنا ووقرنا كبيرنا، وفوق هذا وذاك نعلم أن اختلاف الرأي لا يفسد لود قضية.

ختاماً ليس بوسعنا إلاَّ أن نُحيي كل من أسهمت في الحركة النسوية السودانية عبر مسيرة التجمع الوطني الديمقراطي، وأن ننحني تقديراً لكل من دعمت مسيرة التجمع النسوي، ومن اقتطعت من وقت بيتها وأطفالها وأسرتها ليبقى هذا التنظيم شامخاً.. لكل من وقفت أمام الإعصار ومحاولات التركيع دون أن تنحني ولو طرفة عين.

فمن أجل وطن جميل..تحلينا بالصبر الجميل!

قطعناه درباً..

طويلاً..

كقامة النضال..

قصيراً..

كعمر الهزيمة!

إحسان

■ شكر وعرفان

كل الشكر والعرفان لكل من دعم هذا العمل حتى رأى الكتاب النور ..

*إلى الأستاذ فتحى الضو الذى قام بمراجعة الباب الأول وأبدى ملاحظاته عليه فكانت إضاءات وهيجة لمواصلة المشوار حتى اكتمل الكتاب.

*إلى الدكتور عباس الحاج الأمين محاضر علم الفلكلور بمعهد الدراسات الإفريقية والأسيوية بجامعة الخرطوم الذى تكرم مشكوراً بالمراجعة اللغوية والنحوية للكتاب.

*إلى كل الأصدقاء الذين دفعوا بهذا العمل منذ أن كان فكرة وعلى رأسهم صديقتى العظيمة ورفيقتى المخلصة دكتورة ماجدة محمد أحمد على والتى ظلت بجانبى منذ البداية وشدت من أزرى لتخطى كل العقبات حتى اكتمل الكتاب.

*والشكر موصول للرفيق هشام العبيد الذى شهد معى البدايات وقدم الكثير ليدفع بتجربة هذا التوثيق إلى الأمام.

obeikandl.com

*وفى الطباعة أراميت قرماى والرفيقة بدرية سعيد الطاهر من معهد التدريب السياسى والقيادى بالحركة الشعبية لتحرير السودان والتى تحملت العبء الأكبر ليخرج هذا العمل مكتملاً..

إلى صديقي الحبيب الباشمهندس المبدع ابني (محمد أحمد محي الدين) الذي قام بتصميم الغلاف (حفظه الله).

إلى الجميع شكري وتقديري .

opeikandl.com

■ المقدمة

ظلت قضية مشاركة المرأة في المجتمع بشكل عام، ومشاركتها السياسية على وجه الخصوص منذ الاستقلال وعلى مر الأنظمة المتعاقبة قضية أساسية، رمت بظلالها على قضايا الاستقرار في السودان دون أن يعي ساستها الدرس، ولعل الفشل الذي لازم الأنظمة الديمقراطية، كان لإقصاء المرأة دور كبير فيه باعتباره تعطيل لطاقة تمثل نصف المجتمع.. ونجد برغم هذه الظروف استطاعت المرأة وبنضالات طويلة وبفضل رائدات الحركة النسائية أن تحصل على العديد من الحقوق والمكتسبات السياسية وغيرها، في فترتي الستينات والسبعينات من القرن الماضي.. شهدت هذه المكتسبات خلال هذه الأنظمة ظروفا سيئة خاصة في ظل الديكتاتورية.. بدءاً بنظام عبود مرورا بنظام نميري وانتهاءً بنظام الإنقاذ.. والذي حدث فيه تراجع كبير لمكتسبات المرأة بسبب السياسات التي مورست والقوانين التي سُنت بغرض إقصائها وتحجيمها داخل المجتمع.. هذا على مستوى الحكومات..

ولم يكن الحال بأفضل منه على مستوى المعارضة، وبخاصة الأخيرة التي التأمت في إطار التجمع الوطني الديمقراطي، فسياسة العزل والإقصاء طبقت بدقة (مع سبق الإصرار والترصد) وكانت خلاصتها أن بدأ التجمع الوطني ذكوريا وانتهى ذكوريا، وظلت «مشاركة المرأة» عبارة عن كلمات جوفاء، يزين بها مقرراته وبياناته دون أن ترقى إلى مستوى الجدية والتفعيل الحقيقي، وكان ذلك منذ بداية توقيع الميثاق حيث أقصيت عنه المرأة تماماً، ومروراً بالمادة (٥) من مقررات أسمرا للقضايا المصيرية (سيتم تناول كل ذلك الباب الثالث) وتضميناً لكل الاجتماعات، وانتهاءً باتفاق القاهرة والذي تحول بعد التوقيع من اتفاق إلى افتراق دق إسفيناً في نعش التجمع الوطني، و «لا عزاء للسيدات». وعلى مدى العقد ونصف من عمر التجمع الوطني ظلت النساء بداخل السودان وخارجه، يسعين لانتزاع حق المشاركة والتمثيل في مواقع صنع القرار، وكلما خطت النساء خطوة إلى الأمام سعت مراكز القوة في التجمع الوطني، وبعقلية السودان القديم لإرجاعهن خطوتين إلى الخلف.. وبالرغم من ذلك لم تقف النساء مكتوفات الأيدي، بل بجانب المحاولات المستمرة لانتزاع حقوقهن في المشاركة، لعبن دورا مهما بطريق مباشر وغير مباشر في قضايا الوطن عبر مسيرة التجمع الوطني، وكان التجمع النسائي بالداخل خير مثال على تضامن النساء ومثابرتهن في مناهضة النظام بشتى الطرق من تظاهرات ومسيرات احتجاجية ورفع المذكرات...والتعبير الفعلي عن رفضهن لكل ممارسات نظام الإنقاذ ولم تثنهن الاعتقالات والسجون والجلد والصالح العام وفائض العمالة وغيرها عن مواصلة المسيرة ودعم نضالات التجمع الوطني، مما أسهم في توسيع قاعدة مشاركة النساء والالتفاف حول مواثيق التجمع الوطني وتأييده ودعم مسيرته.

وما ننقله للقارئ عبر صفحات هذا الجهد المتواضع، هي تجربة لنساء عملن في ظروف قاسية وواجهن صعوبات وعراقيل أقسى، في سبيل أداء واجبهن تجاه الوطن وتجاه المرأة التي قام التنظيم لأجلها..التنظيم المقصود هو «التجمع النسوي الديمقراطي السوداني بالأراضي المحررة شرق السودان ودولة إرتريا» وهذا اسمه الكامل، تنظيم تكون من أحزاب وفعاليات التجمع الوطني الديمقراطي، ومرمى البندقية مقصود بها الأراضي المحررة بشرق السودان ومناطق النزوح. وهي المناطق التي كانت تقع تحت سيطرة التجمع الوطني الديمقراطي بعد إعلان النضال المسلح عام ١٩٩٦ في الجبهة الشرقية.. نساء هذه المناطق هن كما جاء في تقرير مركز القاهرة

لدراسات حقوق الانسان – أفريقيا العدالة (RSP) (النساء اللاتي يعشن في مناطق شرق السودان التي يسيطر عليها التجمع الوطني هن من أكثر النساء اضطهاداً وتعاسة في السودان، إن لم يكن في العالم بأسره.. عاشت النساء في هذه المنطقة حتى وقت وصول التجمع الوطني الديمقراطي إليها تحت سيطرة الحكومة السودانية، دون أن تقوم الحكومة بفعل أي شيء لتخفيف حدة القمع والتهميش الذي يعانين منه، ومنذ افتتاح الجبهة الشرقية عام ١٩٩٦م ظلت النساء أيضا يتعرضن للفظائع المصاحبة للحرب بما في ذلك الهجمات العسكرية، القصف الجوي، التحرشات، الألغام الأرضية، والنزوح والجوع والمرض.. إنهن ببساطة أكثر نساء السودان تهميشا وقمعا وهشاشة وضع، وهن أقل المجموعات قدرة على تنظيم أنفسهن[1].) هذا باختصار وصف لظروف النساء اللاتي كن يعملن وسط التجمع النسوي.. وبرغم هذه الظروف تميزت نساء هذه المنطقة بالقدرة على استيعاب المستجدات حولهن وقابليتهن للتفاعل معها.. كما تتوفر لديهن الرغبة في تغيير الواقع البائس الذي فرضته عليهن الظروف إلى واقع أفضل، بدليل تجاوبهن مع تجربة التجمع النسوي ومشاركتهن في نشاطاته، مما أدى إلى نجاح فرعياته في تلك المناطق، حيث تمكن التجمع من إنشاء ستة فرعيات له تشمل مناطق النزوح ومعسكرات اللجوء داخل الأراضي الإرترية، وكان لبنات المنطقة ممن نلن حظاً من التعليم دور كبير في دفع العمل النسوي وفي العملية التعليمية والوعي الصحي التي تبنتها بعض المنظمات الإنسانية التي كانت تعمل بالمنطقة، بالتعاون مع الإدارة الأهلية لتلك المناطق المكونة من مؤتمر البجا.. وأهم تلك المنظمات كانت منظمة الغوث العالمية (IRC) بالإضافة للمنظمات التي كانت تتبع للتجمع الوطني وفصائله، مثل منظمة البجا للإغاثة (BRO)، منظمة أمل للرعاية الاجتماعية (SFC) ومنظمة شيرا (SHRA).

بالإضافة لهذه الظروف الدقيقة لنساء المنطقة، إلاَّ أن العراقيل التي كانت توضع أمام التجمع النسوي، والمعوقات التي كان يواجهها، أضعفت كثيراً من تحقيق البرامج الطموحة التي كان يهدف إلى تحقيقها لنساء المنطقة.. وأهم هذه المعوقات كانت الإمكانيات أو «المال» (سنتناول ذلك في الباب الثاني) فقد أحجم التجمع الوطني عن تقديم أي عون مادي، يمكن التجمع النسوي من تسيير أعماله وتنفيذ برامجه، بما في ذلك ما اتفق على أنه ضروري ومُلح، بحجة أنه لا توجد في ميزانية التجمع بنود خاصة

(١)عندما يحل السلام– تحرير يوانس أجاوين وأليكس دوقال– صفحة ٢٠٩–٢١٠.

بالنشاط النسوي (وهو العذر الأقبح من الذنب)، وبالرغم من ذلك وبإصرار قيادات التنظيم ومثابرتهن، وبالدعم المعنوي والمادي من بعض الفصائل وقوى السودان الجديد داخل التجمع الوطني، ظل التنظيم صامدا، وتمكن من أن يقوم بدور ملموس وسط النساء مما أهله لكسب ثقة البعض، وتقديم العون كل حسب إمكانياته، وكان في مقدمة هذه الفصائل حزب الأمة القومى، التحالف الوطني- قوات التحالف السودانية، مؤتمر البجا، الحركة الشعبية لتحرير السودان وقيادات الحزب الشيوعي السودانى، ثم حركة وجيش تحرير السودان التي انضمت للتجمع الوطني مؤخراً. وكذلك حركة العدل والمساواة ممثلة فى رئيسها د.خليل إبراهيم بالرغم من وجودهم كحركة خارج منظومة التجمع الوطنى. هذا بالنسبة للعائق المالي ناهيك عن العوائق الأخرى والعراقيل التي سيرد ذكرها، والتي لم تمثل في مجملها إلاَّ دافعاً قوياً لصمود التنظيم واستمراره وعطائه مضيفاً صفحة وضيئة في سجل الحركة النسوية السودانية.. وعبر هذه المحاولة سنتناول في باب منفصل موقف التجمع الوطني من المرأة منذ أن بدأ وإلى أن أسدل الستار على آخر فصوله، بمشاركة شكلية في حكومة الوحدة الوطنية.. سيشمل هذا الباب تفاصيل وخبايا مؤتمر التجمع الوطني للمرأة الذي تمَّ التأمر عليه، وقبر قبل أن يرى النور!